

اشتغالات اللاوعي في التشكيل الاوربي الحديث

رنا ضاحي عبد الكريم

كلية الفنون الجميلة ، جامعة البصرة ، العراق

ranadahe1980@gmail.com

المستخلص

يعد اللاوعي من المؤسسات المهمة التي اثرت بشكل جلي داخل البناءات المفاهيمية للمجتمعات الاوربية الحديثة بعد الامتعاض المستमित للسياقات المنادية للروى المثالية المطلقة ، فظهرت بواد ثورة معرفية جديدة تطلق شعار الانحراف والانزياح والتمرد عن الاتجاهات الكلاسيكية الثابتة لتتجه نحو اشتغالات ادانية مغايرة لها القدرة على تحول سمات الواقع المعاش من احالات مركزية الى ترددات اهتزازية تلغي فاعلية الوعي القائم على سرديّة الجمود الفكري وتنظيمه المتوازن الى تشكيلات خطابية لا واعية تمثل السلطة المفصلية التي يشتغل على خطاه الفنان الحدائوي لتغير مؤسسات سلطوية اخرى مهيمنه فرضتها النزعة العقلية وفق ايدولوجيتها الانغلاقية .

الكلمات المفتاحية : اللاوعي ، المضمون الفكري ، الفن الحديث.

The Concerns of Unconsciousness in the Modern European Formation

Rana Dahe Abdul-Kareem

College of Fine Arts, Albasrah university, Iraq

Ranadahe1980@gmail.com

ABSTRACT

Unconsciousness is deemed as one of the important organizations that have evidently made its impact inside the conceptual constructions of modern European Societies after the desperate resentment calling for absolute typical visions. Consequently, the indications of a new cognitive revolution have emerged which adopts the slogan of deviation , displacement and rebellion against the classical constant orientations to move towards contradictory performative functions which have the capability to change the features of the reality on the ground from central transfers into resonant frequencies abolishing the activity of the consciousness based on the narration of the intellectual stagnation and its balanced system to unconscious rhetorical constructions representing the hinge authority which is followed by the modernist artist to change professional patronizing organizations imposed by the mental tendency as per its enclosed ideology the mental tendency as per its enclosed ideology.

Keywords: unconsciousness, mental content, modern art.

المقدمة

اعلنت النصوص البصرية مشروعا استشرافي يحاكي التطورات الثقافية للمجتمع الاوربي الحديث عبر دلالات سيادية تتواشج مع طروحات فلسفية تتبنى مبدأ استئصالي لجميع قيم الماضي وتسويف توجهاتها الفكرية لاستخراج صور اغترابييه لا تمد بصله الا لواقعها المتشضي وذلك عبر تأسيس توافق طردي مع الوجود الذاتي الذي يعد من اهم الاشتراطات المهمة التي استندت عليها فكرة الحداثة ، فباتت الفنون بظل تلك الأيديولوجيات المتناقضة تستخرج تشكيلات نسفية مندبذبة شاذة تنبثق من تداعيات فوضوية تلقائية تشيد بثورة عارمه ضد المفاهيم السلطوية المقيدة التي طالما قيدت الرؤى التجريبية لفناني الحداثة بسبب اطلاق الحرب العالمية الاولى ثورتها التنويرية الاهتزازية ضد مفاهيم التلقي وضد فاعلية تحرير العقل من التبعية الكناسية، من جانب وتمسكها بمشروع انعزالي يشيع ثقافة المباح تحت استراتيجية تدق نواقيس التمرد والاستشعار بالجديد من جانب آخر الذي يؤكد على تجاوز العقل والتمسك بالغرائبية وخطابات التغيير التي تحول بدورها الاحالات الشكلية من الادراك الحسي الى المتخيل وفق اليه تلقائية وعشوائية غير مخطط لها ، فسعى الفنان الحدائي الى تأسيس نماذج نسفية تعلن سياقات ثورية محددة تقوم على مزاعم (لعل الخيال على وشك أن.. يسترجع حقوقه) . (هويكنز، 2016) ولمعرفة المخرجات المفاهيمية للاوعي واثراها في الاساليب الاوربية الحديثة ارتأت الباحثة أن تطلق مشكلتها بشكل سؤال استفهامي يقع حول ما هي اثر الاشتغالات اللاوعي في التشكيل الاوربي الحديث ؟ .

منهجية البحث العلمي

اهمية البحث جاء وفق التحولات والتطورات العديدة التي صاغها اللاوعي في ميادين الفن التشكيل الحديث من اشتغالات حره قلبت موازين الفكر محولة الانساق الى توجهات انفتاحيه تستشري فيها سبل الغموض والايهامية نتيجة تأثرها بنظم اختلاليه يسودها الواقع اللاعقلاني .
ويكمن **هدف البحث** في التعرف عن اثر اشتغالات اللاوعي في التشكيل الاوربي الحديث .
اما **حدود البحث** اشتمل على دراسة المجتمع الاوربي الحديث كمفهوم مكاني ام المدة الزمنية اختصرت على المرحلة التي انحصرت ما قبل وبعد الحرب العالمية الاولى .
وانصب **المنهج المستخدم** على اعتماد الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لتحليل عينة البحث بما يتعلق مع عنوان وهدف بحثها الحالي .

الجزء النظري

اشتغالات اللاوعي في الفكر الحديث

بدأت صياغات اللاوعي تنهل ويشيع ذكرها مع نهايات القرن الثامن عشر عندما اقر النظام البنائي ان يتحول الى مشروع ذي حيثيات استثنائية تتمسك باليات استبداليه تهدم سمة العقل وفاعليته المطلقة على اعتبار الفن هو خطاب ناقل ينقل ما يتوارد في مرحلة ما ،لذا نجد النسق الشكلي ارتبط مع تغيرات ايديولوجية عارمة احدثها منابر النهضة الإنسانية الحداثويه وما يترتب خلالها من ازالة شاملة لسلطة المركز وتلاشيه من قبل القوة المجتمعية الاوربية التي عملت مفكريها على اعلاء

المزاعم الثورية وتسويق كل ما يقيد الحرية الفردية ، فتعالى عندما مفاهيم جديدة اسقطت تابو الرؤى المنطقية والموضوعية والتوجه نحو ما يسمى بـ (التحرر الفكري) فالتزم الفنان بأحقية دور اللاوعي لإخراج صور بنائيه متفردة ومضمرة تقع تحت سياسية الفوضى والتفكيك والانفتاح القائمة على طروحات علمية وسيكولوجية وفلسفية ساعدت على تحقيق نظم تجريبيه انزياحية تختلف عن السابق في حراكها الاستراتيجي متخطية جميع القيم والمعايير في عمليات التحليل والتأويل للابتعاد عن النمطية المحاكية لأشياء (ان المجتمع الحديث والتطور التقني جعلنا التحقق المباشر بكل اشكال الفنون المعروفة معقولاً وسمحاً يتجاوز كل وظائف الفن التي وردت حتى هذا الحين) (دوفينو، 1983)

ظهرت الكثير من السياقات الفكرية التي اثرت على تصعيد دور اللاوعي بالفن الحديث منها

اولا : الثورة التكنولوجي : تعد الاختراع التي حصلت في عصر النهضة وما بعدها من اهم عوامل الانفتاح للمجتمع الاوربي لما ينتجه التطور من تجدد وتحول على مستوى الاداء يجعل الفنان الحديث يستشعر بقيم الخيال لاستكمال عملية ابداعية تنفي خاصية الجمود لتنتقل المتلقي من الادراك الحسي الثابت الى حيثيات المتخيل وفق تراكيب غير نمطية تتفق مع تغيرات العصر الذي ينتمي اليه الفنان ، وقد اكد (فالتر بنيامين) العلاقة المتواشجة بين الوسائط العلمية بالفن ودورها المؤثر في تحريك الوعي الانساني لتوليد صور بصرية جديدة تتجاوز البنية المهيمنة السائدة . (الحلبي، 2015)

ثانيا : الانفتاح المفاهيمي للمجتمع : عن طريق النقلة النوعية التي حصلت في القرن الخامس عشر من خلال اطلاق مفكري تلك المرحلة امثال (فولتير) و(روسو) شعار الاصلاح الديني والسياسي والاجتماعي وما تخللها من هدم للغة الاحتكار العقائدي والتقديس الاعمى التي فرضتها الكنسية بتنظيراتها المقيدة جاعلة المجتمع يستشرف فكرة الرفض بغية الامتثال للوجودي الذاتي لرفع منابر صوت الحرية المطلقة وتشكيل فعل بنائي تمردى تستحوذ عليه سلطة غرائبية تلوح لتأسيس حلول اختلافية عن طريق توجه برجماتي يسير عليه الفنان يكون هو محور الجدل للوصول الى طروحات جديدة تقدم للحياة المجتمعية رؤية مغايرة عن الاحالات العقلية ذات القواعد والقوانين الاكاديمية التي لا تثير حواس المتلقي في التحليل والتفسير ، فأعمال القرن التاسع عشر يحتذي بمعان مضمرة تعطي لقيم اللاوعي مبدأ ميتافيزيقي يبحث عن عمق دلالي يهدم ويقوض ليخترع بناءات شكلية مقترنه بصفة التغير والانتقال . (مظهر، 2014)

ثالثا : نظرية التحليل النفسي : تعد اهم النظريات التي اعطت لصيغ الفن التشكيلي الابداع المفرط من خلال تغييب الوظيفة الاساسية للعقل والتمسك بمظاهر الاحلام واللاشعور والتداعي الحر لا نتاح صور بصرية رمزية واضطرابيه مشوهة تبتعد عن محاكاة الواقع الموضوعي في محتواه النسقي معتمدين نظرية (فرويد) في خلق وابتكار تشكيلات ادائية حرة تتعالى فيها انعكاسات الانا لهدم وتقنيت معاير الماضي والغاء قيود الذات من الرؤى المنطقية وظفت تحت احياءات نفسية تحلل وتركب البناءات وفق امتثال صور ذهنية غرائبية متمردة من حيث المرجع والمقصد لذلك يرى (فرويد) ان اللاوعي هو ((الكشف عن الروابط والعلاقات الموجودة في العالم الخارجي ، والتي يمكن ان نمثلها ونستعيدها في عالمنا الفكري الداخلي)) . (فرويد، 2000) فالفنان الاوربي

عمل على تفعيل الهواجس الباطنية محولا الصيغ الواقعية الى سياقات جديدة استنادا الى قوة اللاشعور الذي عول عنها (فرويد) بانها نزعة تكوينية تولد عند الانسان لأجل اخراج الدوافع المخفية الحقيقة داخل اللوحة والتي من خلالها يستطيع أن يضاد المجتمع لخلق تمثلات ابداعية تسودها الغرابة والاختلاف (فؤاد، 2017) وتجد الباحثة أن ومن المبادئ المهمة التي نجدها في الاعمال التي تتجسد فيها اشترطات اللاوعي هي :

1-استخراج الكبت المفرط من المشاعر .

2-الخط المنظم ما بين الواقع وللواقع .

3-الانهيار الشامل للمنطق (التفكيك الصوري).

فاعلية اللاوعي في التشكيل الاوربي الحديث

ان الاثر التنظيري للوعي لا يقتصر على الجانب الفكري النظري ، بل ذهب الى ابعد من ذلك ليلازم المشروع العملي التجريبي بصورة مباشرة عن طريق توجهات فنية اشتغلت عليه لتحقيق فعل الانسلاخ عن التمظهرات العقلية التابعة للجانب الموضوعي ، فنجد اول من اعتمد مفهوم اللاوعي هي (الرومانسية) التي كانت المحطة الاولى لاستشعار دور المخيلة عبر تحلل واضح للمشاهد الطبيعية انتج من خلال مبدأ حرية الفن ، فجاءت التشكيلات الفنية بطابع مفعم بالانفعالات الذاتية الحرة والمبالغة الجامحة للخيال العاطفي والتعبير عن البواطن الداخلية بمشروع بانورامي قصصي فكانت بمثابة ردا قاسيا لأسس التي خلفتها الكلاسيكية المتنبية لفكرة الجمال الخارجي ، فنجد (ديلاكروا) عالج لوحته وفق تناغم لوني مفرط يتسامى فيه سمة الخيال على الواقع لينتج جمال حركي غير منظم يغلب عليه الطابع الخيالي الاسطوري وارهاصات الحدس البرجسوني ذا المعادلة الفلسفية المقامة على فعل الديمومة كأنه ايقاعا موسيقيا. (برتيملي، 1970)

اما (التكعيبية) شكلت محورا مغايرا في تمجيد اللاوعي داخل معاييرها الاهتزازية بسبب تفكيك العناصر البنائية محول النص البصري المغلق الى معان انفتاحية لانهائية اهلته الجانب المحاكي الصريح لتحاط بثورة علمية نبذت عن طريقها السلطة الغائية لتفرد بروية هندسية متغايرة تستيق فيها اطر التفنيت والهدم ، ان السلطة التي اتعبتها الفنان التكعيبية و التلاعب الحر بالمعيار الشكلي وقعت تحت خطابات الانحراف والانزياح لتصبح المدلولات الداخلية عبارة عن تشاطر هندسي يتقارب مع ما طروحه (سيزان) حول تحويل جميع الاشكال الطبيعية الى نظام رياضي متوافق مع اشكال هندسية ، فالتكعيبية سعت في ادائها أن يستخلص من المحسوس شيئا أقرب عن الحقيقة أو المفهوم أو الفكرة لتحولها الى مفهوم تفكيكي (امهز، محمود، 2009) فكانت نظرية التبلور التعدينية وراء (افلاطون) وتحليله لمفهوم الجمال اثر بالغ في تغيير فكرة الطرح الشكلي حتى بات الفنان التكعيبية انسان متمرّد على القيم العليا التي تقيد حريته جاعلا الاشكال الواقعية متلاشية ومتنافيه لصالح ذلك النظام الهندسي لرفع ستار يؤمن بمستوى الاداء الحر فحول (بيكاسو) رائد المدرسة التكعيبية شعار (ديكارت) عن الوجود الانساني المعرفة " انا افكر اذا انا موجود" لينتقل بعملة الى مشروع فكري جديد تستشرف الشرعية اللاسلطوية التي مارسها خلال رسم لوحاته الفنية لينطبق مع شعار (كامو) " انا أتمرّد ، أذن نحن موجودون " ليعبر عن حركة التدمير والتمرد. (كامو، 1983)

حققت التجريدية مقاربات شكلية مع التكعيبية عن طريق اتخاذ الاشكال الهندسية جوهرية التجريد ، حيث كانوا ينظرون من زاوية البحث الماورائي للطبيعة وفق صراع لوني وخطي ينقل منظومه معينة لا تنتمي الى الفضاءات الموضوعية ، فكان اللوحة التجريدية تسطير عليها سلطة تحررية تحرره من محاكاة الواقع واستبدالها بأشكال تعطي بعداً رابعاً وهو البعد الرابع المختص لمدلول متعدد من خلال تعالي قيم البصيرة ليضرب فكرة المعقول الجامدة تحت أحقية تلقائية عفوية ضمن تبسيط شكلي ومضمون معقد ، ونجد في اعمال فناني التجريديه الامتعاض الكامل للصورة المألوفة وتحطيمها وفق احالات

لونه وهندسية ليس لها علاقه بالمشهد العياني (الفن التجريدي يقدم على اجتناب الصور المحسوسة ، ويسعى

أن يستخلص من المحسوس شيئاً هو أقرب عن الحقيقة أو المفهوم أو الفكرة) (امهز ، 200)

بدأ اشتغال اللاوعي بشكل كبير عندما ظهرت (السريالية) ، اثارث ثورة اختلافيه فكرية عارمة على العقل بسبب ترابطها مع الاحداث السياسية التي شهدتها المجتمعات الاوربية ابان الحرب العالمية الاولى ، فكان لا بد هنا ان تتغير مسارات الفن وتجرّف نحو محارب الجمال لتجذير الانقلاب العشوائي على المعايير والقوانين وتشويهها من خلال التمسك بالترددات اللامنطقية مفعلاً قيم الصراع الداخلي و الفوضى والإنظام الشكلي تحت سلطة أشبه بحالة صوفية (النفانانا) وهي حالة سيكولوجيه يصل اليها الانسان الى قمة الايغال في التأمل (الاختلاف هو الانفتاح الذي ولكنه ليس في متناول اول متمرد ، لأنه يعين التمييز بين الوعي والوعي

بالاختلاف) (عطيه، 2010)

لذا الفنان (دالي) تخصص في اعلان صيغ اللاشعور ورسم لوحاته بروى تدميرية متناقضة بغية الهروب من الواقع المعاش ففي الكثير من اعماله نشاهد اذابة الاشكال باشتراطات هدامة ونلقها الى حالة من اللاوعي نتيجة العلاقة الاختلافية بين الاشكال التي تم توظيفها ، ومثلما تأثر فناني السريالية بنظريات (فرويد) في تفعيل قانون التحليل النفسي وتفسير مفارقات اللاوعي التي تنتج من خارج الادراك العقلي والتي ولدتها حرية الاداء ، تأثروا ب(نيتشه) والغاء لحقيقة القيم العليا التي فكتت دلالاتها بعد ارهاصات الحرب العالمية الاولى بعد تصعيد الموقف العدمي وقابلته في تفكيك بنى المراكز الثابتة وتلاشيها ، فضلا عن تحليله لقضية الوهم وأهميته في نفي حضور الواقع ، فيجب ان يؤسس الفنان مخرجات اختلافية تتلاعب فيها القوى التلقائية العشوائية لتحقق الغايه المرجوة منها وهي سبل التهميش والاسقاط واللاوعي، لذا يشترط على السرياليين ان يحركوا تلك التداعيات ليؤكدوا على ضرورة الوهم الفني لكون الاشتغالات النسقية لم يتم تحقيقها دون اوهام لان الوعي لا يبلغ الا ما هو سطحي (الزغبي، 2009)

الاجراءات

التحليل (1)

اكد (كازمير مالفيتش) في لوحته انتصار السماء المنفذة عام 1908 مفردات اللوحة على صياغة مثاليه لكونها وظفت بصاغة مشوة للتجانس مع متطلبات المفاهيم الحداثيه اللاغية للمركزية الثابتة ، فعلى الرغم تروى مشاهد ذات منظومة دينية تحمل اطر قدسية واضحة المعالم الا ان (كازمير) حولها وفق ادائيه خياليه حرة الى بانوراما قصصية يشتغل فيها نظريات حدسية عبر عنها بواسطة وسائل تصويريه تتعالى عن الواقع ، فكثافة

اللون اعطي احالات انطباعية فسرت مدى العمق الباطني الذي يريد ان يصل اليه الفنان ، حيث جدلية العودة الى الواقع تحت غائية انزياحيه هي اشارات قصدية تحلل ان ما جاء فيه الموقف الحدائي لا يلغي السابق برمته ، بل شذراته وتوظف وفق سبل احترافية وانحرافية تتبع هواجس ذاتية تتعايش مع الامتثال الراهن للواقع الباحث عن سيادة ميثافزيقيا جديدة يغلب عليها جمال اللاوعي ، وان توجهات (كازمير) نحو اعتناق المشهد الديني ضمن قيم نغمية لونية هي اشتراطات من الممكن ان يخرج بنص بصري حدائي مغاير على اعتبار انها الملهم الاساسي لشرعية التأمل والانفتاح لكونها تنتمي بطبيعتها لرؤى غير منطقية في حيث مستوى الفكرة ، فمثل تلك الموضوعات لها معان خفية تروج لأسس استثنائية خيالية تستفز المتلقي بمفرداتها الغرائبية ، وهذا هو الاسلوب التنظيمي التي تتواشج معه السياقات الحدائية بعملها الفني القابلة للرفض للجمال المطلق الذي لا يمكن باي حال من الاحوال المساس بقوانينه ومعايير ه .

التحليل (2)

باتت فكرة اللاوعي عند (سلفادور دالي) في عمله (شبح الصحراء -1915) هي العنصر السيادي الطاغي داخل البناء الشكلي للوحة لانطوائها على انساق مضمرة تحتاج الى متلق واع يفسر محتواها الداخلي التابع الى اطر اللاشعور والاحلام ، فكانت تداعيات (فرويد) حول التمسك بالتمرد والانفكاك عن الواقع من اهم المؤسسات التي اثارها دالي للتخلص من السمة الموضوعية المنطقية للأشياء الموظفة .

ان التمازج ما بين الاخذ بالواقع وتركيبها وفق اسس لا عقلانية هو التلاعب الحر الذي اكد عليه النص البصري السريالي وكانه يتعامل مع اشتراطات صوفية خاصة في مرحلة الاشتغالات الثورية على الوعي الى مرحلة الانفتاح والتلقائية وعشوائية الاداء ساعيا الى الهدم والانقطاع عن القوانين والمعايير السابقة الواقعة تحت المشروع الكلاسيكي الجامد ، فنجد دالي ينظر الى الغاء القيم الجمالية المثالية واسقاطها نظرة ثابتة باعتماد لغة جديدة وهي نقل الواقع من وسيط المألوف الى الانزياح والتخريب وسبراغو التخيل الناجمة عن تشوية النظم واللاغائية المفرطة التي خلفتها ارهاصات الحرب العالمية الاولى وما جاءت بها من نظم اختلافية ناقضت فيها الترددات الثابتة ، هذا يدل ان رقابة العقل تفتت وانتهى تجسيدها مع تصعيد اليات التشرذم والانا الوجودية الفاعلة التي لعبت دورا مهما داخل الصياغات السريالية جاعلتها توجهات انعزالية تتوجس نظم اللامعقول ونبذ شرعية المنطق .

النتائج

- الغى اللاوعي سلطة القيم المثالية المطلقة التي حولت البناءات النسقية للفن الاوربي الحديث الى مخرجات جامدة تسود فيها المركزية الى نماذج تقوم على التفكيك والهدم كحلول جذرية لتفعيل سيادة التشرذم .
- اتاحت اشتغالات اللاوعي اعلاء الموقف التجريبي للفنان الحدائي وبما تتفق مع التوجهات الفنية والفلسفية التي ينتمي اليها
- ان التمسك برؤى اللاعقلانية واللامنطق عززت منظومة الامتناع والرفض لدى المجتمع الاوربي المعاصر رافعا شعارات ثورية تندد بالاستقلال الوجودي على مستوى التنظير والممارسة .

● شكل اللاوعي نتيجة ارتباطه بالتمثلات بالنظريات العلمية والاجتماعية نقلة نوعية في تغير المحمولات الفكرية للفنان الحديث مما جعله يتطلع الى الاختلاف والتناقض جوهر اساسي لعملية الابداع والخلق .

المصادر

- سوسيولوجيا الفن (المجلد ط1). (1983م). باريس: منشورات عويدات للنشر.
احمد عبد الحلیم عطیه. (2010). جاك دريدا والتفكيك (المجلد ط1). لبنان: دار الفارابي.
اسماعيل مظهر. (2014). نزعة الفكر الاوربي في القرن العشرين. مصر: مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة.
البيير كامو. (1983). الانسان المتمرد (المجلد ط3). بيروت: منشورات عويدات.
امهز, محمود. (2009). التيارات الاوربية المعاصرة (المجلد ط2). بيروت: المطبوعات للنشر والتوزيع.
جان برتيملي. (1970). بحث في علم الجمال. القاهرة: مؤسسه فرانكلين للطباعة والنشر.
جان دوفينو. (1983). سوسيولوجيا الفن (المجلد ط1). باريس: منشورات عويدات للنشر.
ديفيد هوبكنز. (2016). الدادائية والسرياليه (المجلد ط1). مصر: مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة.
رعد مطر مجيد. (2015). دور سيزان في ارساء قواعد الفن الحديث. مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، صفحة 2.
- سمير الزغبي. (2009). فردريك نيتشه -الفن والوهم وابداع الحياة. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- سيجموند فرويد. (2000). الموجز في التحليل النفسي. (سامي محمود علي، المترجمون) الكويت: مهرجان القراءة للجميع.
- محمد فؤاد. (2017). مبادئ التحليل النفسي. مصر: منشورات هندواي.
محمود امهز. (2009). التيارات الاوربية المعاصرة (المجلد ط2). لبنان: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.
محمود امهز. (2009). التيارات الاوربية المعاصرة (المجلد ط2). بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.
معتز الحلبي. (2015). الفن التشكيلي وتحديات التكنولوجيا (المجلد ط1). بيروت: مكتبة العلم.